للتاريخ السياسي

المفاوضات

وتأثير ألمانيا فيها

للدكتور يوسف هيكل

« تعقدت المشكلة التشيكوسلوفاكية في شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٣٨ وأخذ تعقدها يزداد حتى كادت تعبر قنبلة الحرب العالمية . غير أنه كان لا يزال هناك أمل في إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق المفاوضات بين الحكومة التشيكوسلوفاكية وممثلي حزب السوديت . وبعرضنا لها نتكلم عن المناورات الحربية الالمانية ومهمة اللورد رنسيمان ، ونبين تطورات المفاوضات ، ونتذكر تأثير خطاب الهر هتلر على سيرها . »

غادر اللورد رنسيمان لندن إلى براغ في أغسطس (آب) ، موفداً من الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ليكون وسيطاً بين حكومة براغ وحزب السوديت . وكانت مهمته بذل الجهود لمنع فشل المفاوضات السائرة بين الدكتور هودزا رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا ، وممثلي الهر هنلاين رئيس حزب السوديت . وفي حالة فشل هذه المفاوضات أعد اللورد رنسيمان مشروعاً من عنده ، يوفق به بين وجهتي نظر الفريقين المتنازعين ، ليضمن السلام ويبعد شبح الحرب العامة ، الذي كان يحوم في جو أوربا الوسطى .

ولما أخذ اللورد رنسيمان يدرس الوضعية في تشيكوسلوفاكيا ، جابهت ألمانيا العالم باستعداداتها الحربية الهائلة التي دعتها مناورات اعتيادية تاريخ ابتدائها ١٥ أغسطس (آب) .

وفي الواقع كانت التعبئة ، أي التجنيد ، لهذه المناورات تعبئة عامة أقلقت الدوائر السياسية واضطرب منها الرأي العام . إذ صدرت الأوامر بتعبئة جميع الأطباء والممرضات . وتلقى الرجال القادرون على حمل السلاح والذين لم يدعوا إلى الخدمة حتى ذلك الوقت ، الأمر بأن يكونوا في كل وقت مستعدين لتلبية أوامر السلطات ، وحظر على كل ألماني دون الخامسة والستين من العمر مغادرة ألمانيا إلى بلد آخر . وألغيت جميع أجازات العمال في السكك الحديدية ، وأبطلت معظم قطارات السفر لافساح المجال للقطارات العسكرية ، وصادرت السلطة معظم سيارات « الباصات » (أوتوبوس) . وأخذت إنشاءات الطرق نحو الحدود التشيكوسلوفاكية تسير بسرعة عظيمة ، وإقامة القلاع على ضفاف الرين وإتمام خط « سيكفريد » المواجه لخط «ماجينو» تجرى بسرعة لم يسبق لها مثيل . ثم أرسلت الجيوش إلى حدود تشيكوسلوفاكيا ، واحتلت القوى العسكرية قلاع الرين والثكنات المواجهة للحدود الفرنسية .

وكان الغرض من هذه الاستعدادات الحربية الهائلة ، غرضاً سياسياً هو التأثير على سير المفاوضات بين حكومة تشيكوسلوفاكيا وممثلي حزب السوديت ، والتهويل على حكومتي لندن وباريس ، لتفسحا المجال لتحقيق المطالب الألمانية .

في هذا الجو الرهيب سارت المفاوضات بين الدكتور هودزا ، والهر هنلاين . وكان الأول ، أي رئيس الوزارة التشيكوسلوفاكية يستند في موقفه إلى تحالفه مع باريس وموسكو ، وإلى التحالف العملي بين لندن وباريس . وكان الثاني أي رئيس حزب السوديت يستند إلى الهر هتلر . وكل منهما كان يعتقد أنه الأقوى ، وكل منهما كان يريد من الآخر أن يتراجع عن موقفه . ولهذه انقطعت المفاوضات مراراً ، ولم تستأنف إلا بفضل جهود اللورد رنسيمان وتسامح الحكومة التشيكوسلوفاكية . ورغم ذلك كانت نهايتها فشلا تاما . وإننا لذاكرون أهم تطوراتها :

قدم حزب السوديت الألماني مذكرة إلى حكومة براغ ، في ٧ يوليو (تموز) الفائت ، وعرض فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة وهي لا تختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلاين في خطابه الذي ألقاه في كارلسباد في ٢٣ ابريل (نيسان) سنة ٩٣٨. وكانت الحكومة حينئذ آخذة في وضع نظام الأقليات. وفي ٩ يوليو (تموز) اجتمع الدكتور هودزا مع مندوبي الهر هنلاين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت .

سارت المفاوضات ، وكان يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا ، فظن الرأي العام أن الطرفين واصلان إلى نتيجة إيجابية تؤدي إلى الوفاق بينهما وزوال خطر الحرب العالمية .

ولكن بينما كانت المناورات الحربية الألمانية على أشدها ،

والرأى العام متجه نحوها ، أعلن مندوبو السوديت ، فى ١٧ أغسطس (آب) ، عدم قبولهم النظام الجديد الذى وضعته الحكومة لتحسين حالة الأقليات . وأبلغوا اللورد رنسيمان بأنهم لا يرون فائدة من مواصلة المفاوضات مع الحكومة .

اهتم اللورد رنسيمان للموضوع ، وبذل جهوداً فى إقناع مندوبى السوديت بضرورة العدول عن رأيهم هذا ، فطلب وفد السوديت مواصلة المفاوضات مع الوزارة فقط ، مفاوضة الند للند فى جلسات لا يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية . فقبلت الحكومة طلب السوديت ، بعد تدخل الدكتور رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكيه واللورد رنسيمان فى الموضوع على أثر ذلك وافق مندوبو السوديت على مواصلة المفاوضات مع الوزارة ولكنهم أصروا على رفض الاقتراحات التى عرضت عليهم .

عمدت الحكومة إلى منح السوديت الألمان امتيازات جديدة كتعيين عدد كبير من رجالهم فى وظائف كبيرة مختلفة . غير أن حزب السوديت قابل هذه الامتيازات بالاستخفاف والامتعاض . وللوصول إلى اتفاق حاولت الوزارة التشيكوسلوفاكية فى ٢٥ أغسطس (آب) إيجاد قاعدة جديدة للمفاوضات ، غير أنه ظهر فى اليوم التالى أن الأزمة التشيكوسلوفاكيه بلغت حد الخطر ، إذ شقة الخلاف واسعة بين الطرفين يتعذر سدها ، لوقوف حزب السوديت موقف المتصلب والمتشبث بمطالبة كاملة غير منقوصة . وكانت ألمانيا تشجعه على هذا الموقف وتحثه على عدم التساهل . وأخذت الصحف الألمانية حينئذ تحمل حملة شعواء على تشيكوسلوفاكيا من أجل حوادث تافهة لا قيمة لها ولا أهمية . وكان ذلك دليلاً على أن ألمانيا لا تريد حل مسألة السوديت بمفاوضات حرة

وبسبب خطورة الحالة الدولية ضاعف اللورد رنسيمان نشاطه بإيعاز من لندن ، وبذل جهوداً لمتابعة المفاوضات . فاجتمع فى ٢٨ أغسطس (آب) بالمر هنلاين ، وقصد مساء ٢٩ أغسطس (آب) قصر الرياسة وقابل الرئيس بنيش وعهد الاجتماع المر هنلاين بالرئيس وشاع حينئذ أن ذلك الاجتماع يأخذ مكانه بعد ظهر ٣٠ أغسطس (آب) . غير أن هذا الاجتماع لم يتم ، وبدلاً منه اجتمع الرئيس بنيش بالدكتورين كورنت وسبيدوسكى من زعماء السوديت . وعرض عليهما اقتراحات جديدة للحكومة التى وضعت على أساس تقسيم البلاد إلى مناطق ذات حكومات مستقلة لها سلطات واسعة على مثال سويسرا . وقد أكدت المقامات المتصلة ببعثة اللورد رنسيمان ، أن السوديت الألمان لا يرفضونها إذا تركوا وشأنهم ، ولم يقع عليهم ضغط من جهة الألمان . وفى ٢ سبتمبر (ايلول) اجتمع الدكتوران كورنت وسبيدوسكى برئيس الجمهورية من جديد ، وبسطا له آراء السوديت فى الاقتراحات الجديدة ، التى قدمها إليهم فى ٣ أغسطس (آب) ، وهى تدل على أن حزب السوديت لم يقرر رفض اقتراحات الحكومة بل أبدى فى صددها تحفظات كثيرة يتطلب الاتفاق عليها مفاوضات شاقة طويلة

وفى هذه الأثناء أى فى أول سبتمبر (ايلول) كان المر هنلاين قد ذهب إلى « برختسكادن » لمقابلة المر هتلر بإيعاز من اللورد رنسيمان . ولدى عودة السر جوانكين ، مساعد اللورد رنسيمان ، إلى بلدة آش فى ٤ سبتمبر (ايلول) وقابل المر هنلاين واطلع منه على ما دار بينه وبين المر هتلر من حديث ، ثم عاد وأطلع اللورد رنسيمان على ما سمع من المر هنلاين

وبعد عودة المر هنلاين من ألمانيا اجتمع بمندوبى السوديت الذين كانوا يفاوضون الحكومة ، وعلى أثر ذلك نشر حزب السوديت فى ٥ سبتمبر (ايلول) بلاغاً له مغزاه ، طلب فيه تحقيق مطالبه الثمانية التى أعلنت فى كارلسباد ، حالاً وغير ناقصة

جدت حكومة براغ فى ٥ سبتمبر (ايلول) فى وضع اقتراحات جديدة لحل مشكلة السوديت ، راعت فيها تحقيق مطالب المر هنلاين الثمانية ، حسما للنزاع ، وتحقيقاً للوصول إلى اتفاق سلمى .

وفى اليوم التالى قابل الدكتور بنيش زعماء السوديت وأسلمهم الاقتراحات الجديدة ، أو ما سمى « المنهاج الرابع » . وهذا المنهاج محتو على تسع مواد توجز كما يلى :

١ — تمثيل الجنسيات والعناصر بالوظائف الحالية والمستقبلة نسبة لعددها

٢ — تعيين الموظفين فى الأقاليم من جنس أكثرية السكان

٣ — تجديد نظام الأمن بتقسيمه إلى بوليس الدولة وبوليس الأقاليم ، وتعيين للأقاليم بوليس من جنس سكانها

٤ — مساواة لغات الأقليات باللغة التشيكية

٥ — القيام بعمل واسع النطاق فى سبيل إنماء الحركة الاقتصادية فى المناطق الألمانية التى أصيبت بأشد أضرار الأزمة . منها منح هذه المناطق قرضاً تبلغ قيمته خمسة ملايين جنيه بشروط متهاودة

٦ — تقسيم البلاد مقاطعات مستقلة استقلالا ذاتياً ومتساوية فى الحقوق على أساس عنصرية السكان

٧ — إنشاء إدارة خاصة للاقاليم فى جميع الادارات المركزية يديرها وطنيون ، لمعالجة المسائل المتعلقة بجنسياتهم

٨ — المحافظة على حقوق المواطنين القومية بقوانين خاصة ، ويكون لهيئات التمثيلية المختلفة حق الاعتراض على أى تدخل فى حقوق أو مصالح الجنسيات التى تمثلها . وستكون سجلات خاصة لكل جنسية

٩ — اتخاذ احتياطات حالية للوصول إلى اتفاق على هذه النقاط التى لاتتطلب احتياطات تشريعية . أما فيما يتعلق بوضع قوانين جديدة، فإن الحكومة ستحضرها بالاشتراك مع حزب السوديت الألمانى . وستعرض المشروعات على البرلمان وتنفذ بأسرع وقت ممكن

قابل الألمان السوديت اقتراحات الحكومة هذه بارتياح ، وقبلوها فى ٧ سبتمبر (إيلول) أساسا للمفاوضات ، لأنهم رأوا فيها تحقيقا يكاد يكون تاما لنقاط كارلسباد الثمانية ، فساد التفاؤل وعظم الأمل بالوصول إلى حل ودى . غير أنه فى اليوم نفسه وصلت براغ أنباء حادث « ماهريش استراو » فأثارت غضب الألمان السوديت فقرروا قطع المفاوضات . أما حادث ماهريش استراو فيوجز فيما يلى:

وصل فى ٦ سبتمبر (إيلول) كثيرون من ممثلى حزب السوديت الألمان إلى ماهريش استراو لمطالبة السلطة بالتحقيق فى بعض الأخبار التى يؤخذ منها أن الألمان السوديت الذين كانوا قد اعتقلوا عوملوا فى السجن معاملة سيئة . ولما دخلوا دار المحافظة تجمع الأهالى الألمان خارج الدار. فأعمل البوليس الركبان فيهم الضرب بالعصى والسياط لتفريقهم . ويقال إن البوليس ضرب اثنين من نواب السوديت على الرغم من تلويحهما بشهادتيهما القانونية

اهتمت حكومة براغ لهذا الحادث ، واتخذت التدابير لعدم تكرره ، ولتحسين معاملة المساجين الألمان . وطلب رئيس وزارة براغ مقابلة النائبين كوندت وروش ، فاجتمع بهما مساء ٧ سبتمبر (إيلول) ، ودارت محادثة سودى على أثرها حادث ماهريش استراو وانتهت بالاتفاق على استئناف المفاوضات

وبينما كانت حكومة براغ جادة فى حل المشكلة التشيكوسلوفاكية بالاتفاق مع السوديت الألمان بمنحهم مطالب زعيمهم الثمانية ، فاجأت جريدة التيمس ، المعروفة بعلاقتها الوثيقة مع حكومة لندن ، العالم فى ٧ سبتمبر (إيلول) مقترحة فى مقال رئيسى ، حل المشكلة التشيكوسلوفاكية عن طريق فصل الأقاليم السوديتية وضمها إلى ألمانيا . ومصرحة « بأن إرادة الأهالى الذين يعنيهم الأمر ستكون عاملا له أهمية فاصلة فى أية تسوية يرضى أن تكون دائمة » وهذا الحل غاية ما يصبو إليه السوديت الألمان ، وما يرمى إليه الهر هتلر . غير أن السوديت الألمان لم يجرؤوا حتى ذلك التاريخ على طلبه ، ولم يأملوا تحقيقه

وبينما كانت المفاوضات تسير فى براغ بصعوبة ومشقة ، ومن غير أن توصل إلى نتيجة إيجابية ، قرب يوم الاثنين الموافق ١٢ سبتمبر (إيلول) ، وهو تاريخ إلقاء الهر هتلر خطابه التاريخى ، الذى كان ينتظره الناس فى جهات الدنيا الأربع . فأحالوا نظرهم عن تشيكوسلوفاكيا ، واتجهوا نحو نورمبرغ ، حيث انتقل إليها مركز النظر فى المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وحيث يلقى زعيم ألمانيا كلمته الخطيرة

كان خطاب الهر هتلر شديد اللهجة عنيفاً ، ولم يكن فى الامكان فى أحوال دولية عصيبة كأحوال شهر سبتمبر (إيلول) الفائت ، أن يلقى زعيم ألمانيا خطبة أشد لهجة من الخطاب الذى ألقاه فى مؤتمر نورمبرك وكان « ضربة أصابت أساس سياسة التوفيق التى سار عليها المستر نيفل تشمبرلين » ، كما قالت النيويورك تايمس فى ١٣ سبتمبر

فقد حمل فيه على الحكومات الديمقراطية حملة شعواء ، ملؤها السخرية والازدراء ، وهاجم حكومة براغ هجوماً عنيفاً بعبارات ملؤها الاهانة والتحقير . ومما قاله بصدد المشكلة التشيكوسلوفاكية:

« ... إنى أعلن أن هذه المخلوقات المضطهدة (أى السوديت الألمان) إذا لم تحصل على حقها وعلى المساعدة التى تستطيع المطالبة بها فانها ستنال هذا الحق وهذه المساعدة منا .. لقد سبق لى أن أعلنت أنى لا أتحمل بعد الآن أن يظل هؤلاء الملايين الثلاثة مضطهدين ، وأرجو من رجال سياسة الدول الأجنبية أن يعلموا أن هذا ليس كلاماً بلا معنى » . وبعد أن ذكر الفوهور أن ألمانيا ضحت كثيراً فى سبيل السلم قال « إن الشعب الألمانى ليس مستعداً لأن يقبل آلام ثلاثة ملايين ونصف مليون أو يشترك فى تحملها. إنى أستطيع أن أؤكد لساسة لندن وباريس أننا عازمون على الدفاع عن مصالحنا فى جميع الظروف . وإنى أفضل أن أتحمل الضيق والخطر والاضطهاد على أن أعدل عن تحقيق هذا الواجب »

وبعد أن أبان الأعمال التى قام بها منذ ٢٨ مايو (مايس)

الأخير لتعزيز قوى ألمانيا الحربية قال : « لقد بذلت هذا الجهد لأضمن السلم ، ولست على استعداد لأن أشاهد اضطهاد الشعب الألماني في تشيكوسلوفاكيا بهدوء لا حدله. إنهم يريدون الشروع في مفاوضات وتسويف الأمور ولكن ذلك لا يمكن أن يدوم »

« إن مايريده الألمان هو حق تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وهذا ما يتمتع به كل شعب بدون شك . إني أريد أن ينتهي اضطهاد ثلاثة ملايين ونصف مليون من الألمان في تشيكوسلوفاكيا ، فان المسألة مسألة مواطنين ألمان ، ولا أرغب في أن تنشأ على الحدود الألمانية فلسطين أخرى ، فألمان تشيكوسلوفاكيا لن يظلوا بدون دفاع ولن يتركوا لأنفسهم ... »

وقد ختم الهر هتلر خطابه بقوله : « إننا لن نذعن بعد الآن لارادة أجنبية ، وإنني أقسم على ذلك وليساعدني الله »

أصر الهر هتلر في خطابه على وجوب إعطاء السوديت الألمان « حق تقرير مصيرهم » ولم يطلب صراحة فصلهم عن حكومة براغ وضمهم إلى ألمانيا ، لعلمه حق العلم بأن الألمان السوديت إذا أعطوا حق تقرير مصيرهم يقررون الانضمام إلى الرايخ الألماني ، وليظهر للعالم بأن ألمانيا لا تريد التوسع في أوربا وإنما البلاد المأهولة بالألمان ، خارج حدود الرايخ، تريد الانضمام إليه

كان لخطاب الهر هتلر تأثير عظيم على نفسية الألمان السوديت وأنتج تغييرا أساسيا في مطالبهم القومية ، إذ أعلنوا أن مطالبهم الثمانية المعلنة في كارلسباد لم تعد أساسا صالحا للمفاوضات . وطافت جموعهم في الشوارع طالبة الاستفتاء ، وقامت مظاهرات نادي القائمون بها بالانضمام إلى ألمانيا ، هاتفين: « شعب واحد رايخ واحد ، زعيم واحد » .

أدى هذا الهياج إلى حدوث اضطرابات ومصادمات اضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية . غير أن ذلك لم يرق حزب السوديت فأنذر الحكومة في ١٣ أيلول وقدم إليها مطالب منها إزالة هذه الأحكام . وأمهلها ست ساعات ، مهددا بعدم استئناف المفاوضات . وردت الحكومة على هذا الانذار بأنها لا ترى مانعا من قبول مطالب الحزب إذا وجه الزعماء إلى الشعب نداء يناشدونه فيه احترام القانون والنظام ، وجاء وفد منهم إلى براغ للمفاوضة في هذا الشأن .

لم يأبه حزب السوديت لرد الحكومة ، بل أصدر بلاغا جاء فيه « أنه لم يعد من الممكن مواصلة المفاوضات على الأسس التي اتبعت حتى الآن . ولذلك أعفى الهر هنلاين الوفد من مهمته وشكره على جهوده » . وفي اليوم التالي طلب حزب السوديت رسميا من حكومة براغ أن يكون للألمان السوديت حق تقرير مصيرهم . ونقل الحزب مركزه من براغ إلى اشن ليكون قريبا من الحدود الألمانية .

وفي ١٦ أصدر الهر هنلاين بيانا قال فيه « إننا نريد أن نعيش عيشة الألمان الأحرار ، إننا نريد أن نعود إلى الرايخ » . وأخذت صحف الألمان تحمل حملة عنيفة على تشيكوسلوفاكيا ، ومما قالته جريدة « فولكشر بيوباختر » صباح ١٧ سبتمبر (ايلول) ، أن الوقت قد حان لابعاد المسيو بنيش عن مسرح السياسة الدولية الأوربية وإزالة دولة من خريطة أوربا .

إن انقطاع المفاوضات أضاع الأمل في الوصول إلى حل سلمي دون تدخل الدول الأخرى » ، وقال اللورد رنسيمان في الكتاب الذي أرسله إلى المستر تشمبرلن في ٢١ سبتمبر (ايلول) إن مسئولية قطع المفاوضات النهائية في رأيي ، تقع على الهر هنلاين والهرفوتك ، وعلى هؤلاء من مؤيديهم ، داخل البلاد وخارجها ، الذين كانوا يحضون على أعمال العنف وعلى الأعمال غير الدستورية»

أقلق خطاب الهر هتلر وما تبعه من اضطرابات وقطع المفاوضات في تشيكوسلوفاكيا ، ارأى العالمي وبالأخص في لندن وباريس ، ودعاها إلى بذل آخر ما لديهما من جهود في سبيل حفظ السلام . فما هي هذه الجهود ؟ وماذا كانت ثمرتها ؟ هذا ما سنعرضه في مقال آخر .

يوسف نجيم

يظهر قبل ١٥ ديسمبر

قبل الانتحار

بقلم خليل منصور الرحيمي

مقدمة تحليلية رائعة لفحل الأدب الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

الاشتراك مقدما ٥ قروش

ترسل إلى المؤلف بيت الحولي مؤمن — دقهلية